Nady Al-Adab

Volume 17 Issue 2 November 2020
ISSN Print: 1693-8135 | ISSN Online: 2686-4231
Publisher: **Department of West Asian Studies, Faculty of Cultural Sciences, Hasanuddin University**
This journal is indexed by Google Scholar and licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

---

أدب الحيوان في مؤلفات العلامة الإلوري:

دراسة تحليلية نقدية

د.خليل الله محمد عثمان بودوفو
University of Ilorin, Ilorin, Nigeria.
e-mail: khalilulahgbodofu@gmail.com

Abstract

The universe comprises of many world thus, the world of human being, animals, plants and non-living things. Animals are similar to human being, they both share life, feeling and distinct other creatures with rotation and reproduction. They are in different species. Some of them walk on their stomach such as snakes, including those who walk with two legs such as birds and including those who walk with four legs such as cattle. Many Arab and non-Arab scholars have written on animals. Some among these scholars single handedly wrote on animals while some did not. Among those scholars are Sheikh Adam Al-Ilory who elaborates on the attitude and characteristics of animals in some of his works which includes; "Islam and Customs of the dark age", "Breeze of Dawn", "Summary History of Nigeria", Philosophy of Prophet-hood and the Prophets" and "Geography and History." This paper therefore, study al-Ilory perspectives on animals, the sources explored by al-Ilory in his submission and shed more light on his position between human being and animal. It also discusses the characteristics of animals and it builds a story among them. In this paper, the researcher will carry out a purely literary study in terms of analytical criticism.

Keywords: *Adam Abdullahi Al-Ilory, Animal Literature*

1. مقدمة

يعتبر الحيوان من المخلوقات التي تنال اهتمام الباحثين منذ أمد بعيد، فهو شريك الإنسان فى المدن والقرى، وشبيهه فى الأكل والشرب، ولعل إيجاده على سطح الأرض أقدم من إيجاد الإنسان، والمعلومات التي بأيدينا تشير إلى أن للعلماء العرب وغير العرب دورًا كبيرًا في التأليف حول الحيوان، منهم من أفرد له تأليفا مستقلا، ومنهم من لم يفرد له ومن بين العلماء غير العرب الشيخ آدم عبد الله الإلورى الذي أسهم في فنون اللغة العربيّة إسهامًا لا يستهان به، وتطرق في بعض أعماله إلى قضايا الحيوان؛ وأسلوبه في عرض الأفكار حول هذا الموضوع يتسم بالطابع الإنساني والفني، أو يتميز بتعدد الأشكال الفنيّة، ولهذا آثرنا في هذه الدراسة أن نركز على ما هو أقرب إلى التحليل والنقد، ولا نقول أننا بلغنا إلى الشموليّة في البحث

2. الشيخ آدم عبد الله الإلوري في سطور

هو آدم بن عبد الباقي بن حبيب الله بن عبد الله الإلوري. ولد عام 1917م، ونشأ تحت تربية والده عبد الباقي، وكان الوالد يذهب به إلى بيوت كبار العلماء بمدينة إلورن، ليكتسب منهم الأخلاق الطيبة، وليدعوا له بالبركة، وكذلك يأخذه إلى المناسبات الإسلامية المختلفة ليتدرب على الوعظ والإرشاد، ومن هذا المنطلق بدأ الشيخ آدم الإلورى نشاطاته التعليمية وحركاته الدعوية وفي ذلك يقول:

قرأت القرآن على والدي ثم مررت على كثير من العلماء ولم يتيسّر لي أن أتعلم من مدرستهم إلى أن دخلت مدرسة الشيخ صالح في إبادن سنة 1934م، وأخذت منه كتاب الزهد وخمسين فريضة، والوصية لعلي بن حسين، والمواعظ البليغة، وتفسير سورة يس، والأخضري والعشماوي، وبانت سعاد، والبردة، والعزّية، ومفتاح الإعراب، والزينبية، وعلي الوعيظي، واستمعت إلى العشرينية، وتحفة المودود، ولاميتي العرب والعجم، ودروسا ناقصة من الأربعين النووية، ولامية الأفعال، ومقصورة بن دريد، وفي سنة 1939م أخذت من الشيخ عمر الأبجى أبياتا من المقامات الحريرية، وسورة يوسف، ومفتاح اللغة العربية، والأجرومية، وتحفة الأطفال، ولامية ابن الوردي وتتمة العشيرينية، وجزءمن متن الرسالة، وسورة البقرة، وتخميس بانت سعاد، وجزء من الميدانى في التصريف، وتتمة تعليم المتعلم، وفي سنة 1941م أخذت علوم البلاغة، والعروض من الشيخ آدم نماجى، والجوهر المكنون في ثلاثة فنون، وعقود الجمان، والكافى في العروض والقوافى، والورقات في أصول الفقه، ودروسا في علم الفلك والفلسفة، والإنشاء العربي1.

ورحل في سنة 1946م إلى بلاد العرب، حيث زار السودان العربي ومصر، والمملكة العربية السعودية لأداء فريضة الحج والعمرة. وبعد ذلك رجع إلى وطنه مغتنما القوة الروحية والفكرية، ومكتسبا المهارة والخبرة في مجال التعليم الحديث وأساليب الدعوة2 وعلى هذا أنشأ مركز التعليم العربي الإسلامي على نظام الأزهر الشريف في سنة 1952م، وقد تخرج من المركز الآف من العلماء والدعاة والكتاب والشعراء والمفكرون، كلهم قدموا خدمات ضخمة للمجتمع3. ولقد نبغ الإلورى في الكتابة والخطابة وقرض الأشعار، ومن أهم مؤلفاته، كتاب: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودى، والإسلام والتقاليد الجاهلية، وتاريخ الدعوة إلى لله بين الأمس واليوم، ونطام التعليم العربي، وفلسفة النبوة والأنبياء على ضوء الكتاب والسنة، وحقوق الإنسان، ولباب الأدب. وأما قصائده فمنها: ما قالها في التحذير والزجر للأمة الإسلامية عن الخوض في الرزائل والجهالة المنكرة، وفيها يقول:

ويح قومي جهلوا معنى الحيا ** وأساؤا فيه حتما وابتداء

هكذا قد جهلوا التـــواضعا ** وبنوه في سجود وانـحتاء
خلع نعل جعلـــــوه واجبا ** لهم قبل الوصـــول للفناء
وانبطاح لـهم عنـد السلام ** وبروكا لـــهم عنـــد اللقاء
علماء السوء دومـــا همهم ** في طعـــام وشراب وكساء
قطعت ألسنتهم عند الـملا ** أصبحوا طوعا عبيد الأمراء
كممت أفواههم روم العطا ** فانبروا يـمتدحون الأغنياء
مع هذا يـــزعمون أنـــهم ** أفضل الخلق وريثوا الأنبياء
كل من خالفهم في هـــذه ** وصفوه بـــالذي منهم براء
جعلـــوه كافرا في دينهـــم ** واستعـــدوا للقتال واعتداء
والتواضع الذي نعرفه ** مثل ما في العقل أو شرع السماء
بقبول الحق من كل أحد ** واجتـــناب جر ثوب الخيلاء
واحترام الناس في حد النهى ** وانضباط النفس لا كالحمقاء
والحياء الحق إن تـــسألني ** ما يقيك العـار عند العقلاء
ويقي من كـــل فحش وحنا ** غيـــر هذا لايسمى بالحياء

وفي سنة 1992م، توفى الإلورى بلندن، ودفن في رجاب مركزه عند مقبرة والديه في أغيغي، نيجيريا، تغمدهم الله تعالى برحمته أمين.

3. مصادر الكتابة حول الحيوان

من الصعوبة بمكان أن نصل إلى الاستقصاء الكامل للمنهج الذي كان يستخدمه العلامة الإلوري في الكتابة عن الحيوانات، وذلك للظروف التي تحيط بهذه المقالة من حيث سطورها وصفحاتها، ومع ذلك فإننا نقرر أنه كان يتردد ذكر الحيوانات المختلفة في مؤلفات الإلوري ترددا ينبئ عن عنايته بها واطلاعه على الكتب التي تمت إليها بصلة، وهذا يقتضي البحث عن النمط الذي كان يسير عليه في الكتابة عن الحيوانات، ومن ذلك معايشته مع بعضها والوقوف على طبائعها وأحوالها، وفي ذلك يقول في شأن قاتل الحية:

لقد شاهدنا كثيرا من السفهاء الذين قتلوا حيات مدنهم في بلادنا هذه فماتوا لساعتهم ولقد وقع ذلك مرارا وتكرارا.5

إن مثل هذا القول يدل على أن العلامة الإلوري كان يعايش الحيوانات ويخالطها، ويبلغ العمق في تتبع أحوالها، الأمر الذي جعله يصف حقائقها كما يراها، ولعله يعرف الحيوانات بمميزاتها وأحوالها من خلال قراءته للقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ومن وقوفه على الأشعار العربية أو على بعض الكتب التي أفردها طائفة من العلماء والأدباء للحيوان أمثال الجاحظ، وابن قتيبة، وأبو هلال العسكري، ومحمود عباس العقاد وغيرهم من العلماء الأجانب أمثال داروين، وهيكسلى، ووكر، ولامارك.

ويبدو أن العلامة الإلوري كان يركز في ذكر الحيوانات على الكتب الإسلامية، ويعطي القرآن الكريم اهتماما كبيرا وهذا مما يتمشى مع طبيعته كالأديب الإسلامي، وفي الحقيقة إن القرآن الكريم حافل بذكر الحيوانات إما تبيانا لتحريم كالخنزير أو لوصف خلق ذميم لبعض الحيوانات كالحمار والكلب والغراب، أو للمتفكر في آيات الخلق كالإبل والبعوض والذباب والعنكبوت، أو لتشريف هذه الحيوانات كالخيل.6 ومن طراز هذا أنه كان يكثر استعمال الأحاديث النبوية في بيان الأمور التي تمس التداوي بالحيوانات، إذ يذهب إلى أنه يجوز التداوي بألبان الأتن، ومرارة السبع وأبوال الإبل وعندما أراد التفريق بين التداوي بالحلال والحرام أخذ يقول:

كان أهل الجاهلية يتداوون ببعض الأدوية النجسة كالخمر والدم والبول القذر أو بالحيوانات الميتة النجسة كالهدهد والضفدع وعظام الميتة ونحو ذلك، فلما جاء الإسلام حرم ذلك وسماه الدواء الخبيث.7

يرجع هذا القول إلى أحد الأحاديث النبوية الشريفة، ونظرا إلى ذلك يمكن القول إن هذا هو موقف الإسلام من التداوي بالحيوانات وبما يخرج منها. وهذا لو تصفحنا بعض الكتب الشعرية التي جمعها العلامة الإلوري ورتبها كالفواكه الساقطة والمقطوعات الأدبية والمحفوظات الأدبية لوجدنا أن للحيوانات نصيبا موفورا في بعض أبياتها الواردة، ومن ذلك قول الشاعر:

وكيف تـــــخاف الفقـر والله رازق ** وقد رزق الأطيار والحوت في البحر8

ومنها قول بعضهم:

إذا حمل النضار على النياق ** فأي الفخر يحسب للنياق

أتـأكل كل يوم ألف كبش ** وتلبس ألف طاق فوق طاق9

ومنها قول بعضهم:

إنـما الدنـــيا كبيت ** نسجته العنكبـــوت10

ومنها قول بعضهم:

الكلـــب أحســـن حالة ** وهو النهاية في الخساسة

مـمن تصـــدر للرئاســة ** قبـــل إبـّـان للرئـــاسة11

وهذه الأبيات مما كان يتغني بها الإلوري في مجالس الوعظ والعلم، وكان الطلاب وغيرهم يتلقونها منه ويأخذون منها الحكمة والوعظ، إذ من طبيعة الشعر أن يؤثر في نفس القارئ والسامع وأن يأخذ أحاسيس الناس وعواطفهم، وهناك قصائد عديدة قرضها الشعراء العرب في وصف الحيوانات وتصويرها في عصورهم الأدبية، منها: قصيدة امرئ القيس في وصف الفرس، والنابغة الذبياني في الطيور، وعنترة بن شداد في الذباب، والفرزدق في الذئب، وبشار بن برد في شاة9، وهكذا دواليك. وفي العصر الجاهلي يصف الشعراء الحيوانات ليتوصلوا بذلك إلى أغراضهم الشعرية، وأما في العصر الحديث فإن الشعراء يفردون بعض قصائدهم للحيوانات ويرثونها كرثائهم للإنسان إذا مات. ولعل بعض الشعراء قبل العصر الحديث يفردون القصائد للحيوانات ويرثَونها ولكنهم في هذا الفن أقل عددا وأضعف تصويرا من شعراء العصر الحديث.

ومن هنا نلمس أن العلامة الإلوري كان يجمع بين ما يراه ببنت عينيه وما يقرأه في الكتب، ويصنف بهما الكتاب عن الحيوانات وغيرها، وهذا مما يحقق الدراسة الناجحة لأي فن من فنون العلم أو الأدب، لأن العالم أو الأديب الذي يجعل ما يكتبه نصب الأعين، لا يأخذه التعب في كشف النقاب عن الأمور، وتكون الطريق أمامه سهلة إلى النتائج الواضحة المفيدة للإنسانية. ولعل هذا السلوك من أهم ما ساعد الإلوري في الكتابة حول الحيوانات وتقسيمها إلى أنواع مختلفة وفي ذلك يقول:

من الحيوانات ما هو بريّ ومنها ما هو بحريّ... ومنها ما هو داجن أليف الإنسان كالهرة والكلب والفرس والحمار من ذوات الأربع أو كالدجاجة والحمام والطاووس من الطيور، أو كالأنعام من الإبل والبقر والغنم، ومن الحيوانات ما هو مفترس يأكل اللحم نيا كالأسد والنمر والفهد، ومنها الحشرات السامة كالحيات والعقارب وجميع الزواحف وكثير من الذباب، ومنها ما هو وحشي لا يأكل اللحم كالفيل والثور والظبية والحيوانات البحرية لا تعيش في البر كسائر أنواع السمك الصغيرة والكبيرة.12

يتبين من خلال هذا أن الحيوانات عند العلامة الإلوري تتنوع إلى النوعين، الحيوان البري، والحيوان البحري، ويبدو أنه اعتمد على القرآن الكريم في ذكر هذه الحيوانات، إذ ذكر الله تعالى سبعة وعشرين (27) صنفا13 من الحيوانات في كتابه العزيز، والحيوان البرمائي لم يكن مما ميزه الألوري في هذا الصدد.

4. بين الإنسان والحيوان

يرى الباحثون أن الفرق الرئيس بين الإنسان والحيوان هو العقل، ويقصدون بالعقل القدرة على الربط والعقد والتفكير والتقرر مع المواقف المختلفة، والإنسان في ذاكرة الإلوري هو حسب قوله:

الحيوان الذي تميّز عن سائر المخلوقات بالعقل الذي جعله سيد العالم أجمع، واستطاع أن يسخر كلّ ما على سطح الأرض لخدمت14.

وبهذا نعرف أن الإنسان نوع من أنواع الحيوان، وأن الاختلاف بينه وبين سائر الحيوانات العقل الذي صار به سيدًا مطاعًا، ومكلفا يحاسب يوم القيامة، أما الحيوانات فمنها ما يتغذى على الأعشاب حيث يعتمد على النباتات بشكل رئيس ويسمى بآكل الأعشاب، ومنها التي تتغذى على اللحوم، بحيث تهاجم غيرها من الحيوانات وتأكلها وتسمى بآكلة اللحوم إضافة إلى الحيوانات التي تتغذى على النباتات واللحوم.15

وتاريخ الغذاء عند الحيوانات لا يختلف كثيرا عن تاريخه عند الإنسان، إذ ورد في التاريخ أن الإنسان في بداية حياته كان يأكل العشب والثمار واللحوم نية. وفي ذلك يقول العلامة الإلوري:

وبعد أن عاش الإنسان دهرًا طويلاً على النبات والثمار التي كان يلقتطها أو يقتطفها، جرب أكل اللحوم اقتداءًا بالحيوان المفترس، فأخذ يصطاد الحيوانات والطيور والأسماك نيئة، قبل أن يخترع النار لشوائها ثم لطبخها، ثم اكتشف الفخاخ والمصايد فساعدته على الاستئناس بصغار الحيوانات، فجعل يربيها ويستفيد من إنتاجها وألبانها.16

من الواضح في هذا النص أن الإنسان قبل أن يتطور إلى ما كان عليه اليوم كان يحاكي الحيوان في التغذية والأكل، ويستفيد منه من ناحية تربيته له. ومحاكاة الإنسان للحيوان عند الإلوري لا تقتصر على التغذية والأكل فقط، بل تمتد إلى صناعة المسكن، وفي ذلك يقول:

تدرج الإنسان في صناعة المسكن من تقليد الطيور لاستظلال بأغصان الأشجار، وقلد الحيوانات في سكنى الكهوف والمغاور.17

ويجد القارئ في تراث الإلوري أن النباتات والحيوان والإنسان كلهم يتأثرون بالأرض التي خلقهم الله عليها ونشأوا فيها، وعن ذلك كان يقول:

جعل الله طبيعة الجو تؤثر على ألوان الحيوان والإنسان فلون الناس والكلاب والخرفان والهررة من الحيوانات الداجنة وأمثالها من الحيوانات الوحشية في المناطق الحارة يختلف عن ألوان تلك الحيوانات في المناطق المعتدلة والباردة وكذلك النباتات18.

ومن هذا نرى أن العلامة الإلوري يؤمن بأن الحيوان قد سبق الإنسان إلى ممارسة بعض الأشياء وبلغ النضوج فيها قبل الإنسان، ولعله من إثر هذا يؤمن بإيجاد الحيوان على سطح الأرض قبل الإنسان، وهذه الفكرة هي التي كان عليها عدد من علماء الإسلام ولهذا ذهب ابن الوردي ويقول:

كل شيءٍ خلقه الله من الخلق كان قبل آدم، وأن آدم وجد بعد ايجاد الخلق لأنه خلق آدم آخر الأيام التي خلق فيها الخلق.19

وانطلاقا مما جاء من مؤلفات الإلوري حول محاكاة الإنسان للحيوان، وإيجاد الثاني قبل الأول على سطح الأرض، نحاول أن نضع أيدينا على ما ورد في بعض مؤلفاته حول نشوء الإنسان وارتقائه، أو تحول الإنسان من القرد إلى صورة الإنسان الكامل التي كان عليها اليوم، وفي هذه القضية كان الإلورى يقول:

جاء عالم فرنسي يدعى لامارك (1774- 1829) فقال: إن الأنواع يتحول بعضها إلى بعض، وإن الأنواع لم تخلق كلها في دفعة واحدة، بل بدأت الحيوانات سافلة ثم تدرجت في الرقي، وتولد بعضها من بعض، وانتقلت من أنواع سافلة إلى أنواع راقية، وسمي مذهبه هذا بمذهب النشوء والارتقاء. ثم جاء بعد لامارك من توسع في تطبيق هذا المذهب على كثير من الأشياء، فطبقه على النظم الاجتماعية، وعلى أشكال الحكومات وعلى العلوم والديانات... فلما جاء عالم انجليزي يسمى داروين ما بين (1709-1882م) طبق هذا القانون على الإنسان وقال: إن الإنسان أصله قرد لوجود الشبه بينهما في الدم واللبن والشكل والرأس واليدين والرجلين وغير ذلك. فوافق عليه عدد من العلماء الطبيعيين منهم هيكل الألماني وهيكسلي، وخالفه الكثيرون من الطبيعيين فضلا عن علماء الأديان كافة من اليهود والنصارى والمسلمين، بدليل بقاء القرود على حالتها منذ قرون عديدة حتى الآن.20

من هنا نلمس أن للعقيدة والأسطورة دورًا كبيرًا في تفصيل العلاقة بين الإنسان والحيوان، ولا يزال الجدال يحتدم بين علماء الدين وغيرهم حول أصل الإنسان والموطن الأول له، ولعل أهل الغرب هم أول من ربط أصل الإنسان بالحيوان، وذلك إما لعلمانيتهم أو لجهلهم بحقيقة تاريخ الإنسان، أو لسوء فهمهم لبعض الكتب السماوية التي جاء منها الحديث حول الإنسان والقرد والخنزير. وشأن العلم أن يكون الباحثون الذين يناقشون القضايا حول أصل الإنسان على الطرفين، طرف أهل الأديان السماوية،

وطرف غير أهل الأديان السماوية، والطرف الأول هو الأرجح وعلى الصواب عند السواد الأعظم، ولعل العلامة الإلوري من أعلام هذا الطرف، ولهذا يعلق على رأي أهل الغرب والعلمانيين ويقول:

إن الإنسان خلق قائم بنفسه غير منحدر من حيوان مماثل، لكنه نشأ وتطور حتى ارتقى إلى ما هو عليه اليوم.21

ومهما يكن من أمر، فإن تراث العلامة الإلوري يعتبر الحيوان أقرب إلى الإنسان تبعا للفائدة التي يتبادلانها فيما بينهما، وأن العلاقة بينهما علاقة قديمة قدم تاريخ المخلوقات، إلا أن الإنسان يتمتع بالقدرة على تخطيط أعماله وتصرفاته، حتى في تقدمه في العمر خلافا للحيوان الذي ليست له قدرة على تذكر عدد كبير من المعلومات المتسلسلة.

5. خصائص الحيوانات

هناك خصائص تتميّز بها الحيوانات بعضها عن البعض، وهذه الخصائص نجدها عند الحيوانات في طبيعة سلوكها وغذائها وتناسلها. فالكلب من أهم الحيوانات التى لها ميزة خاصة، ذكره القرآن الكريم في خمسة مواضع، أربعة منها في سورة الكهف وهي: "...وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لواطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا" (الكهف: ١٨)، "سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعد تهم مايعلمهم إلا قليل فلاتمار فيهم إلامراء ظهرا ولاتستفت فيهم منهم أحدا" (الكهف: ٢٢)، وواحدة في سورة الأعراف وهي: "ولوشئنا لرفعنه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هوبه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أوتتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بئايتنا فآقصص القصص لعلهم يتفكرون" (الأعراف: ١٧٦)، وتدل الآثار التاريخية على أن الكلب يعيش مع الإنسان ويستأنسه منذ آلاف السنين حين كان الإنسان يعيش في الكهوف، ولهذا يدعى صديق الإنسان.

وفي بعض مؤلفات الإلوري ورد عدد من خصائص الكلب بشكل جليّ منها، قوله:

إنه ذو أمانة ووفاء لصاحبه، لذلك يحرس ربه ويحمي حريمه شاهدا أو غائبا ويكرم الكريم، ولا ينبح ذا جاه، ويقبل التأديب والتعليم، ويلاعب صاحبه، وإذا عضه لم يؤذه، والكلب السلوقي يعرف الميت والمتماوت من الناس.22

نلاحظ أن العلامة الإلوري استطاع في هذا النص أن يختار ألفاظا تناسب مميزات الكلب وخصائصه مثل كلمة "أمانة" و "وفاء"، واستعمل الأفعال المضارعة التي تدل على صفاته الحسنة، ككلمة: يحمي، ويكرم، ولا ينبح. وهذه الأفعال – كما نرى – معظمها دقيقة وواضحة الدلالة، وهذه الظاهرة تذكّرنا ما أسند إلى أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، أو إلى الحسن البصري في عشر خصال يتصف بها الكلب، وهي:

الأولى: أنه لا يزال جائعا، وذلك من آداب الصالحين.

الثانية: أنه لا يكون له موضع يعرف به، وذلك من علامات المتوكلين.

الثالثة: أنه لا ينام من الليل إلا قليل، وذلك من صفات المحسنين.

الرابعة: أنه إذا مات لا يكون له ميراث، وذلك من أخلاق الزاهدين.

الخامسة: أنه لا يهجر صاحبه وإن جفاه وطرده، وذلك من شيم المريدين.

السادسة: أنه يرضى من الدنيا بأدنى يسير، وذلك من إشارات المتواضعين.

السابعة: أنه إذا غلب عن مكانه تركه وانصرف إلى غيره، وذلك من علامات الراضي.

الثامنة: أنه إذا طرد ثم دعى أجاب، وذلك من أخلاق الخاشعين.

التاسعة: أنه إذا حضر شيء من الأكل وقف ينظر من بعد، وذلك من أخلاق المساكين.

العاشرة: أنه إذا رحل من مكانه لا يرحل بشيء، وذلك من علامات المجردين.23

وهذه الخصائص مما ينال إعجاب المتصوفة وتقديرهم ويقومون بشرحها وتحليلها حسب آدابهم، منهم الشيخ عبد الغني النابلسي الذي نظم هذه الخصائص وقال في الأبيات الآتية:

في الكلب عشر خصال كلها حمدت ** يا ليتها كلها أو بعضها فينا

جوع له لم يزل والصالحون كذا ** وماله موضع يختص تعيينا

كمن على ربه لا زال متكلا ** ولا ينام سوى من ليله حينا

مثل المحبين لا ميراث قط له ** إن مات كالزاهدين المستقلينا

وليس يهجر يوما من يصاحبه ** وإن جفاه كأخلاق المريدينا

وراضيا بيسير من معيشته ** ما زال كالقانع المستكمل الدينا

وإن يكن غالبا شخص سواه على ** مكانه ينصرف عن ذاك تهوينا

بتركه مثل أصحاب التواضع قل ** وإن بضرب وطرد من فتى هينا

ثم الفتى قد دعاه بعد ذاك أتى ** كحال أهل خشوع خذه تبيينا

وإن رأى الأكل أضحى واقفا تره ** يرنو إليك كأخلاق المساكينا

وإن ترحـــل لا شيء تـــرى معه ** مثل الذي حاز في التجريد تمكينا

نجد فى هذه الأبيات أن المتصوفة الإسلاميين يهتمون بالكلب ويظهرون اهتمامهم به، ولعلهم يرمزون به في الإخلاص والحب والوفاء. ويمكن العثور على الرموز بالكلب في بعض دواوينهم وكتبهم المختلفة كديوان ترجمان الأشواق للإمام الأكبر الشيخ محي الدين بن عربي، وكتاب الإحياء للإمام الغزالي، وكتاب الطبقات للشعراني وغير ذلك.

والعلامة الإلوري في دراسته لخصائص الحيوان يكثر الانطلاق من رأي الفقهاء إلى الأحاديث النبوية الشريفة، ومن ذلك إلى النصوص القرآنية، وهذا هو المنهج الذي كان يسلكه في ذكره لخصائص الكلب، ويبدو أنه كان يسير على هذا النمط في اتجاهه الديني وعند تمييزه بين الحسن والقبح، وخاصة عند الموازنة بين الأوصاف الحسنة والسيئة، إذ نلاحظ أن فكرة الموازنة كانت تمر في تفكير الإلوري بمرحلتين: أولاهما: عندما ينظر إلى ما قال العلماء والفقهاء وغيرهم في أوصاف الكلب السيئة وأحواله الخبيثة، كالذي جاء في قوله:

عليه الأوزاعي وأبو حنيفة وأحمد وإسحاق وأبوثور أنها (الكلاب) نجسة يغسل الإناء من ولوغه سبع مرات، آخرهن بالتراب، لحديث "إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه وليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب".24

وفي مثل هذا أورد لنا الإلوري ما ذهب إليه الجاحظ عن أحوال الكلب أثناء مرضه، وذلك حين قال الجاحظ:

يعرض للكلب داء يسمى الكلب – بفتح اللام – وهو داء يشبه الجنون تحمر به عينا الكلب ويندلع لسانه ويكثر لعابه وسيلان أنفه يمشي ملتويا كأنه سكران، يجوع ولا يأكل، ويعطش ولا يشرب، وإذا عقر إنسانا في هذه الحالة عرض له مرض مثل ذلك.25

ونظرا لهذا الموقف تجاه الكلب وتجاه الأمراض التي يعانيها في بعض الأحايين، يبرز الإلوري رأيه ويعلق على ما سبق بقوله:

إذا تأمل القارئ هذه الأوصاف الخبيثة ابتعد عن الكلب ليسلم عن أدرانه وأوضاره26.

وأما المرحلة الثانية، ففيها التمس الإلوري ما قال العلماء عن الكلب، وعن اقتنائه، وقال:

وفي مذهب مالك والزهري وداود والحسن البصري وعروة بن الزبير أنه طاهر، وإنما يغسل الإناء من ولوغه تعبدا، احتجوا على ذلك بقوله تعالى "فكلوا مما أمسكن عليكم" (سورة المائدة، الآية 4) ولم يذكر غسل مواضع إمساكها. واحتجوا بحديث ابن عمر قال: كانت الكلاب تقبل وتدبر في مسجد رسول الله ولم يكونوا يرشون شيئا من ذلك، ذكره البخاري في صحيحه. ثم قال: ومن الغريب أن يتصف العرب أو يتسموا في الجاهلية بوصف الكلب أو باسمه، مفردا وتصغيرا أو جمعا: كالكلب وكليب وكلاب، من

ذلك دمية الكلبي، الذي يقال إنه أجمل أهل زمانه، وكان جبريل يتمثل بصورته ومع ذلك ينسب إلى الكلب، ومن ذلك كلاب بن مرة من أجداد النبي.27

ينقل لنا العلامة الإلوري عن بعض العلماء والفقهاء تصورهم الذي جعل الكلب ينال اهتمام الناس واحترامهم، واستحقاق اقتنائه، وعلى هذا التصور يعلق الإلوري ويقول:

لهذه الأوصاف الحسنة رخص الإسلام في اقتناء الكلب للصيد وحفظ الماشية والزرع وحفظ الأبواب والدروب مع التحفظ، وقال تعالى: "وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله. فكلو مما أمسكن عليكم"28

يبدو لنا أن العلامة الإلوري في هذه الموازنة يذهب إلى أن العلماء الذين قالوا بأن الكلب هو نجس إنما قالوا ذلك بسبب الأمراض التي يعانيها حينا بعد حين، لا بسبب التحريم الشرعي، ويرى أن الحديث الذي يقول:

"لا تدخل الملائكة بيتا فيه الكلب ولا صورة"

لا لمنع الناس عن اقتنائه، وإنما لكثرة أكل الكلب النجاسات التي تفوح منها الرائحة الكريهة.29

وفي الحقيقة إن هذه الموازنة تأخذ قدرا كبيرا من اهتمام الإلوري، إذ كان يرددها ويسهب في ترديدها ومن ذلك قوله:

يجدر بنا في هذه المناسبة أن نأتي على الكلام في جواز اقتناء الكلب أو تحريمه، حيث يخيل إلى العامي التعارض في النصوص الواردة في الأمرين، وقد أفتى العلماء بعدم جواز اقتناء الكلب لغير ضرورة، فابتعد المسلمون عن معاشرة الكلاب ومخالطتها، وعندما انفتحت طريق الحج وتوافد الناس إلى مكة المكرمة استغربوا من انتشار الكلاب في دروب مكة وعلى أبواب منازلها فصاروا يقولون: لم هذا؟ وكيف ذلك؟ لاعتقادهم أن كل شبر من أرض مكة حرم مقدس، طاهر للصلاة، فالكلاب تروح وتغدو فيها بهذا الشكل الرهيب رجعوا إلى بلادهم يعيدون على علمائهم الفتوى في اقتناء الكلاب.30

هذا، وإذا قدرنا أن الإلوري قام بالموازنة في أمور الكلب، فإنه وازن بين جواز اقتنائه وعدم جوازه، ويذهب إلى أن الذين منعوا الناس من اقتنائه، إنما منعوهم في حالة غير ضرورية، لأنه ليس في الشرع الإسلامي ما يمنع الناس من ذلك.

وفي خصائص الكلب كان الإلوري يتأثر بالقضايا الاجتماعية التي دعا إليها عباس محمود العقاد وسلامة موسى في العصر الحديث، وطلبوا من الأدباء والعلماء أن يلتزموها، ذلك أن الإلوري كان يصور المجتمع النيجيري أو المجتمع الإسلامي في نيجيريا تصويرا واقعيا، ويستعمل فنه لنشر ثقافة مسلمي هذه البلاد بالنسبة إلى الكلب وأحواله الحسنة والخبيثة.

6. بناء القصة حول الحيوان

والقصة في العصر الحاضر تتنوع إلى أنواع كثيرة منها الرواية وهي التي تقابل "نوفل" في اللغة الانجليزية، ومنها الرواية الصغيرة وهي التي تقابل نوفيلت، ومنها القصة أو الحكاية وهي التي تقابل كلمة "ستوري" ومنها الحكاية القصيرة أو النادرة وهي التي تقابل كلمة "شورت ستوري".31

فالقصة التي تدور حول المحور اليوم هي الحكاية القصيرة عن الحيوانات وما يتعلق بسياستها وأحوالها في الغابة، وما يقع بينها وبين الإنسان من الصراع والتقاتل. ولقد استطاع الإلوري أن يصور هذه السياسة والصراع تصويرا يلقي في نفس القارئ صورة واضحة وكاملة لحدث الحكاية، وتأسيسا على هذا، نعرض للقارئ نص الحكاية بالكامل فيما يأتي:

يحكى أن الوحوش فيما غبر من الزمان اتفقوا على اختيار الأسد مليكا عليهم وبعد أن تمت مراسيم التولية مضى الأسد في الغابات والآجام يتمدح على نفسه ويقول "أنا ملك الملوك يهابني الناس والحيوانات ولا يقف أحد أمام بطشي وقوتي وفتكي فمر في هذه الأثناء بصائد متربص بأعلى الشجرة فسمع صوته فأطلق عليه الرصاص فوقع الأسد صريعا... وبعد أن علم الوحوش بذلك جاؤوه وندبوه ثم اختاروا له خلفا من أبنائه فدرج على سيرة أبيه فكان نصيبه مثل ما أصاب سلفه من رصاص الصائد. ثم اتفقوا على اختيار خلف له من أحفاده فتردد هذا بين القبول والرفض معتبرا بما وقع لأسلافه الذين كانوا لا يعيشون عقب توليتهم الملك إلا قليلا فطلب إلى الوحوش تأجيل أمره ريثما يتأمل ويتشاور فوافقوه على الأسى والكآبة إذ بسلحفاة تسأله عن سبب ذلك فقص عليها قصته فأجابته السلحفاة بأن الموت يعاجل سلفه من أجل ما يتمدحون به عقيب توليتهم، وأشارت عليه بقبول الولاية وعدم الافتخار فعمل الأسد بمشورة السلحفاة ولم يلق مكروها.32

وبعد هذا العرض ينبغي لنا أن نشير إلى أن العلامة الإلوري حين كان يكتب هذه الحكاية كان يختار لها اسما مناسبا، ويؤثر أن تكون تحت عنوان الأساطير اليورباوية، والأسطورة من أهم مصادر التجربة الأدبية، لها مكانتها في المجتمع الإنساني، ولها دورها الملموس في الدين والعلم والأدب، يلجأ إليها الأدباء الرمزيون وغير الرمزيين، ويقال إن لليونان أسطورة تعرف ببجماليون، هي التي تغلغلت إلى الآداب العربية على أيدي أهل القصة والمسرحية أمثال توفيق الحكيم الذي طوّر هذه الأسطورة وأبدع فيها إبداعا رائعا بعد أن ألبسها اللباس العربي في كتابه: "يا طالع الشجرة"33 وأمثاله. ومن خلال هذه الحكاية الأسطورية يجد القارئ أن قبيلة يوربا تشارك غيرها في تجسيم الأفكار وإيقاظ حالات النفس البشرية. وأما الروائع الفنية التي نلمسها في هذه القصة فمنها ما يأتي:

أ- يسير الإلوري في هذه الحكاية على طريقة المؤرخ الذي يحكي للناس الأخبار من الخارج دون أن يشترك في الأحداث، ومن ذلك قوله: "وقع الأسد صريعا... وبعد أن علم الوحوش بذلك جاؤوه وندبوه ثم اختاروا له خلفا من أبنائه"، نلاحظ أن الكاتب يحكي لنا هذه الحكاية كأنها وقعت أمامه مباشرة، أو شاهدها بعين رأسه. وفي مثل هذه الطريقة تتمتع القصة أو الحكاية بالمتعة الفنية الرائعة.

ب- يسلك الكاتب في هذه الحكاية طريقة السرد الذاتي، حيث يدمج نفسه في شخصية الأسد الذي هو بطل القصة، ويتكلم على لسانه، انظر إلى هذا القول: "أنا ملك الملوك، يهابني الناس والحيوانات، ولا يقف أحد أمام بطشي وقوتي وفتكي"، نجد في هذه الكلمات أن الكاتب يتكلم كأنه هو الأسد نفسه، ويحكي لنا ذاتية الأسد كأنها هي ذاتيته الإنسانية بالضبط. وهذه الطريقة تساعد أهل القصص والروايات على الدخول إلى نفوس الشخصيات والأبطال، وإلى إبراز الصور الخيالية.

ج- تتسم هذه الحكاية بدقة التخطيط وتصميم الهندسة، وذلك أن الكاتب استطاع أن يجعل بين أحداثها وأشخاصها الترابط والانسجام، بحيث لا يبدو بين تلك الأحداث والأشخاص تنافر واضطراب، وبحيث لا يوجد في المجرى العام اعتراضات تشتت الأحداث.34

د- استطاع الكاتب أن يحسن طريقة العرض والتنسيق، إذ كان يتقلب بين طيات الحكاية كما يشاء، ويدخل في أطرافها من دون أن يشعر القارئ بالدخول أو الخروج. هذا، وإذا راجعنا ترتيب أجزاء الحكاية لا نجد تلك الوحدة العضوية في الجمل والتراكيب فقط، بل نجدها كذلك في نمو الصور الخيالية، فلننظر إلى هذا الترتيب في المقطوعات الآتية:

- إن الوحوش... اتفقوا على اختيار الأسد مليكا عليهم
- وبعد أن تمت مراسيم التولية مضى الأسد يتمدح على نفسه، ويقول: "أنا ملك الملوك".
- مر... بصائد متربص بأعلى الشجرة، فسمع صوته فأطلق عليه رصاصا، فوقع الأسد صريعا.
- ثم اختاروا له خلفا من أبنائه فدرج على سيرة أبيه فكان نصيبه مثل ما أصاب سلفه.
- ثم اتفقوا على اختيار خلف له من أجفاده فتردد هذا بين القبول والرفض... فطلب إلى الوحوش تأجيل أمره ريثما يتأمل ويتشاور.
- إذ بسلحفاة تسأله عن سبب ذلك فقص عليها قصته فأجابته السلحفاة بأن الموت يعاجل سلفه من أجل ما يتمدحون به عقيب توليتهم، وأشارت عليه بقبول الولاية وعدم الافتخار فعمل الأسد بمشورة السلحفاة ولم يلق مكروها.

نسوق هذه المقطوعات لنرى كيف كان العلامة الإلوري يتفكر في ترتيب أفكار الحكاية وترتيب صورها الفنية، أو كيف كانت الحكاية نفسها تتقدم شيئا فشيئا من المقدمة إلى الخاتمة على طريق التسلسل في التفكير والمشاعر. نلاحظ أن كل مقطوعة من هذه المقطوعات كانت في موضعها المحدد لها بحيث لا يصح الانتقال من المقطوعة الأولى إلى الرابعة مثلا، وإلا بدأت المقطوعات مضطربة، واختلت بنية الحكاية، اللهم إلا بترتيب أجزاء الموضوع من الأول إلى الآخر ترتيبا عضويا حيّا كما كان هو في هذه الحكاية.

7. الخلاصة

يتضح من خلال هذا البحث أن الشيخ العلامة آدم عبد الله الإلوري اعتمد في دراسته للحيوان على القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والأشعار العربية، واستعرض أطرافا من العلاقة التي بين الإنسان والحيوان في الوهلة الأولى من حياة الإنسان حيث بيّن أن الإنسان في بداية حياته أو تطورها كان يحاكي الحيوان في التغذية والمسكن، وهكذا تطرق إلى ذكر بعض الخصائص التي يتميز بها الحيوان مركّزا على خصائص الكلب الذي يدعى صديق الإنسان. وأسهم الإلوري في إجراء القصة بين الإنسان والحيوان. وبهذا يرى الباحث أن هذه المقالة تكشف النقاب عن كفاءة الإلوري في سرد الحديث حول خصائص الحيوانات وبناء القصة عنها، كما يرى أن الدين والبيئة من المؤثرات الأساسية في ثقافة الإلوري، ويدعو إلى توسيع رقعة البحث في هذا الموضوع، وفي ما يتعلق بالنباتات والجمادات في مؤلفاته.

المراجع

عيسى ألبى أبوبكر وأحمد دام جوب: شخصية الشيخ آدم عبد الله الالورى في شعر عيسى ألبى أبوبكر، الشيخ آدم عبد الله في موكب الخالدين، كلية الآداب جامعة إلورن عام 2012م ص: 1005

المرجع نفسه، ص: 1515

الشيخ آدم عبد الله الالورى: الصراع بين العربية والانجليزية في نيجيريا، المقدمة، دار التوفيق النموذبية للطباعة، القاهرة عام 199م ص: 28

آدم عبد الله الإلوري: فلسفة النبوة والأنبياء في ضوء القرآن والسنة، ط 2، مكتبة دار النور، لاغوس، نيجيريا، عام 1427هـ-2006م، ص 167-168

يوسف نوفل: مملكة الحيوان دعوة مفتوحة إلى حدائق الإيمان، ط1، مكتبة الإيمان المصورة القاهرة، مصر، عام النشر غير مذكور، ص 45

آدم عبد الله الإلوري: الإسلام والتقاليد الجاهلية، ط 1، مكان الطبع غير مذكور، عام 1399هـ-1979م، ص 127

آدم عبد الله الإلوري: الفواكه الساقطة، مطبعة المنار نهج التريبونال، عدد 12 تونس، عام الطبع غير مذكور، ص 6

آدم عبد الله الإلوري: المقطوعات الأدبية، ط 2، مكتبة الثقافة الإسلامية، أجيجي لاغوس، نيجيريا، تاريخ النشر غير مذكور، ص 4-5

آدم عبد الله الإلوري: المحفوظات الأدبية، ط 3، بزيادة من: محمد حبيب الله آدم عبد الله الإلوري، دار النور للطباعة والنشر، موشن، لاغوس، نيجيريا، ص 8

المرجع نفسه، ص 5

زكرياء محمد جمعة: وصف الحيوانات في الأدب العربي ببلاد يوربا: دراسة تحليلية فنية، بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية، للحصول على درجة الماجستير، كلية الآداب، جامعة إلورن، إلورن، 2007م، ص 43

آدم عبد الله الإلوري: تقريب اللغة العربية لأبناء أفريقيا الغربية، ط 2، مطبعة الثقافة الإسلامية، أجيجي، نيجيريا، ص 27

يوسف نوفل: المرجع السابق، ص 49

آدم عبد الله الإلوري: الجغرافيا والتاريخ، ط 2، قام بتجديده وتهذيبه: ثوبان بن آدم عبد الله الإلوري، مركز العلوم العربية والإسلامية، أوتوبو، لاغوس، نيجيريا، ص 25

راجع دانة الوهادين: خصائص الحيوان، http://google:mawdooz.com، 2017/12/21م

آدم عبد الله الإلوري: المرجع السابق، ص 27

المرجع نفسه، ص 28

آدم عبد الله الإلوري: آثار العلم والفلسفة والتصوف في مسيرة الدعوة الإسلامية، ط 1، مطبعة وهبة، القاهرة، 1437هـ-2016م، ص 81

آدم عبد الله الإلوري: أصل قبائل يوربا والقبائل المجاورة في نيجيريا، ط 1، مطبعة وهبة، القاهرة، 1432هـ-2016م، ص 46

آدم عبد الله الإلوري: الجغرافيا والتاريخ، المرجع السابق، ص 35

المرجع نفسه، ص 25

آدم عبد الله الإلوري: نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا، ط 3، مطبعة وهبة، القاهرة، 1411هـ-1990م، ص 176

راجع: المجلس العلمي، http://google:majles.alukah.net، 2017/12/21

انظر: أدب عبد الغني النابلسي، http://google:adab.com، 21 /12/2017

آدم عبد الله الإلوري: المرجع السابق، ص 173

المرجع نفسه، ص 175

المرجع نفسه، والصفحة نفسها

المرجع نفسه، ص 174

المرجع نفسه، والصفحة نفسها

المرجع نفسه، ص 175

المرجع نفسه، ص 174

عباس محمود العقاد: خواطر في الفن والقصة، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973هـ، ص 29

آدم عبد الله الإلوري: موجز تاريخ نيجيريا، ط 1، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ص 30-31

عبد الرحمن شعيب: النقد الأدبي الحديث، تاريخ النشر ومكانه غير مذكورين، ص 44، ص 391